الفصل الرّابع

آداب الطّفل وطريقة تأديبه ومخاطبته وتكليفه

البحث الأول:

آداب الطفل في الإسلام

تأديبُ الأطفال بآداب الإسلام واجب من الواجبات الشّرعية:

أوجب الإسلامُ التّحلّي بالآداب الإسلامية منها:

١ - الصّلاةُ.

٢ - الطهارةُ والنّظافةُ.

٣ - آدابُ التّعامل.

٤ - الاستئذان.

٥ - الصّيام.

الصلاةُ:

لقد أمرَ الرسولُ ﷺ المربين أن يُلقّنُوا أولادَهم ركن الصّلاة وهم في سنّ السّابعة. قال عليه السلام: «**مُروا أولادَكم بالصّلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشرٍ، وفرّقوا بينهم في المضاجع**»[1].

وهكذا يمكن أن يصل المربي بالطفل إلى الإيمان بالله الواحد المبدع عن طريق

---

(١) صحيح الجامع الصغير برقم ٥٨٦٨.

التّأمّل والتّفكير في خَلْقِ السّموٰات والأرض، وعن طريق التدرج معه من المحسوس إلى المعقُول، ومن الجزئي إلى الكُلّيّ ومن البسيط إلى المركّب، حتى يقنع الولد وجدانياً وعقلياً في قضية الإيمان عن حجة وبرهان، ويجب أن يتعلم الولد الصّلاة وأحكامها، وعدد ركعاتها وكيفيتها، ثم تعويده إياها بالملاحقة والمثابرة لأدائها في المسجد جماعةً، لتصبح الصّلاة في حقّه خُلُقاً وعادةً، ويجب أن نُعلّمه أن يُصلي في اللّيل لِما فيه من فضائل فهو سبيل إلى الجنّة، وإنّ قائم الليل يُكتب عندَ الله من الذّاكرين، وأنّه قربة إلى الله، مكفّرٌ للخَطايَا، ويجب أن نُعلّمه أن يُصلي صلاة الفجر في المسجد، وأن يدعو بالأدعية الواردة في سنّة الرّسول ﷺ، ومنها بعد صلاة الفجر «لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له المُلْكُ وله الحمدُ يُحيي ويُميت وهو على كل شيءٍ قديرٌ» «اللّهم أجرني من النّار»، ويجب أن نُعلّمه ما تيسر من القرآن الكريم، قال عليه السلام: «**خيرُكُم مَنْ تعلَّمَ القرآنَ وعلّمَهُ**»(١).

الطّهارة والنّظافة:

يجبُ أن نعلّم الطّفلَ على النّظافة. قال الرّسول ﷺ: «**كلُوا واشربُوا والبسُوا وتصدَّقُوا من غير إسرافٍ ولا مخيلةٍ**»(٢).

وقد اعتنى الإسلامُ بالمظهر، وأمر المسلم بالنّظافة لأنّها أساسُ كلِّ زينةٍ حَسَنةٍ ومظهر جميل ولائق، فأوجب أن تكون ثيابه ذات رائحةٍ جميلةٍ، وخاصة في المسجد، وفي أي وقتٍ من الأوقات، أو أيّ مكان، ويجب أن نُعلّم الطفل كيف يدخل إلى مكان قضاء الحاجة وهي كالتالي:

١ - أن يدخل برجله اليُسرَى والخروج بقدم الرجل اليُمنىٰ.

٢ - عندما يدخل إلى الخلاء يقول الدعاء: «**اللهم إنّي أعوذُ بكَ من الخُبْثِ والخبائث**».

٣ - أن لا يتكلم في الخلاء أو يأكل في الخلاء.

---

(١) صحيح البخاري برقم ٥٠٢٧.

(٢) صحيح البخاري كتاب ٧٧، باب ١.

٤ - أن لا يصحب معه شيء فيه ذكر الله بشكل ظاهر.

٥ - أن يبتعد عن أعين النّاس إذا كان في الخلاء.

٦ - أن يقول عندما يخرج أن يدعو بالدعاء المأثور: «**الحمدُ لله الذي أذهب عنّي الأذى وعافاني**».

٧ - أن يغسل يديه بالماء والصّابون بعد الخروج.

عملية الوضوء:

يُبيّن للطّفل فضل الوضوء وأنه يغسل الذّنوبَ، إذا توضأ العبدُ المسلمُ، فإذا غسلَ وجهَهُ خرجَ من الوجهِ كلُّ خطيئةٍ نظرَ إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطرة من الماء، فإذا غسل رجليه خرجتْ كلُّ خطيئةٍ مشّتها رجلاه مع الماء، أو مع آخر قطرة من الماء حتى يخرج نقياً من الذّنوب، وعملية الوضوء تُخلِّصُ المسلمَ من الأوساخ لأنّه يتوضأ في اليوم خمس مرّاتٍ.

آدابُ التّعامل:

آداب التّعامل هي الخصال الحميدة التي تؤلّف بينَ النّاس، وتمنعهم عن القبائح. كان عليه السلام يُعلّم من كان في عنقه حقُّ التّربية القدوة الصّالحة في كل شيء حتى يؤخذ عنهم ويتأسّى بهم، ويتأثّر الأولاد بأفعالهم الحميدة ومواعظهم المؤثّرة، فالطّفل حين يجد من أبويه وقريبه القدوة الصّالحة، فإنّه ينشر مبادىء الخير، ويتطبع على أخلاق الإسلام، ويجب أن نُعلّم الطّفلَ أن لا يبدأ أهل الكفر بالسّلام وفي رواية البخاري عن الرّسول ﷺ قال: «**يُسلِّم الصغيرُ على الكبير**» ومن آداب التّعامل:

١ - يجب أن يتعلّم الطّفل الصّدق في كل شيء، فإذا كان أبويه يُكذّبان ويرى أبويه يغشّان أو يخونان لا يمكن أن يتعلم الأمانة والصّدق.

٢ - يجب أن يتعلّم الكلمات الحميدة؛ فإذا سمع من أبويه كلمةَ الكفر والسّبّ والشتيمة لا يمكن أن يتعلّم حلاوة اللّسان.

وفي الأثر عن عليّ رضي الله تعالى عنه: أدّبُوا أولادكم على ثلاث خصال: حُبِّ نبيِّكم، وحبّ آل بيته، وتلاوة القرآن الكريم.

وفي الأثر عن أم المؤمنين عائشة ﵂: لأنْ يُؤدّبُ الرّجلُ ولدَهُ خيرٌ من أنْ يتصدَّقَ بصاعٍ.

وقال ﷺ: «**المَرْءُ على دين خليلِهِ فلينظُرْ أحدُكُمْ مَنْ يُخالِلُ**»(١).

٣ - يجب أن يُعامل كبار السّنّ برفقٍ ولينٍ واحترامٍ.

قال عليه الصّلاة والسّلام: «**ليس منّا مَنْ لم يرحمْ صغيرنَا ولا يعرف حقَّ كبيرنا**»(٢).

٤ - أدب المزاح: عدم المزاح مع مَنْ هُم أكبر منه سنّاً، وعدم الإكثار منه، وعدم الأذى فيه إو الإساءة لأحد.

٥ - أدب الطعام: إذا حضره الطعام يجب أن يقول: بسم الله، وإذا نسي يقول: بسم الله أوّله وآخره. وبعد أن يكمل من تناول الطّعام، يقولُ: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا من غير حولٍ لنا ولا قوّة.

٦ - أدب الحديث: مع من هم أكبر منه سنّاً بأن يكون الكلام لطيفاً خالياً من الكلام الفاسد.

٧ - أدب السلام: قال رسول الله ﷺ: «**يُسلّم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليلُ على الكثير**»(٣). وقال أيضاً: «**إذا سلّم عليكُمْ أهلُ الكتابِ فقُولُوا: وعليكُمْ**»(٤).

---

(١) مسند الإمام أحمد، ج ٢/ ٣٠٣، وإسناده صحيح.
(٢) مسند الإمام أحمد، ج ١/ ٢٥٧، وإسناده صحيح.
(٣) صحيح البخاري برقم ٦٢٣٢.
(٤) صحيح البخاري برقم ٦٢٥٨.

الاستئذان:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾(١).

إذا بلغ الأطفالُ سنَّ الرُّشدِ والبلوغ، فعلى المربّين أن يُعلّموهم آداب الاستئذان، فما على المربّين إلّا أن يأخذوا بآداب القرآن الكريم في تلقين الولد منذُ أن يعقل آداب الاستئذان إذا أرادُوا لأولادِهم الخُلُقَ الفاضل والشّخصية الإسلامية المنيرة والسّلوك الاجتماعي الخيّر. قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٢).

الصّيام:

هو تخلٍّ مؤقّتٍ عن شهواتِ الجسدِ خلالَ النّهارِ من الفجر إلى الغروب لمدّة شهر رمضان، وهو من الخضوع لأحكام الله، والتّوقّف عن الانسياق للشّهوات المشروعة، والتزام مؤقّتٌ لحياةٍ فيها جوع وعطش وتقشّف لتربية النّفس وضبطها.

إنّ شهر رمضان، الشّهرُ الذي بدأ فيه نزول القرآن، شهر مخالفة الشّهوات، شهر العبادة، التي تجعل العقيدة الإسلامية حيّةً في النّفوس، وتنقلها من حيّز الفكر المجرد إلى حيّز القلب، إنّ الصّيام هو تجديد النّفس بالتّوبة، لذلك يجب أن نعوّد أبناءنا على الصّيام، وندرّبهم منذ الصّغر.

البحث الثاني:

تأديب الطفل بالتّوبيخ دون الضرب

يقولُ العلاّمةُ الكَاسَاني في بدائع الصّنائع: «إنّ الصّبيّ يُعزّر تأديباً لا عقوبةً؛ لأنّه من أهل التأديب، ألاَ ترى إلى ما ورد عنه عليه الصّلاة والسّلام أنه قال: «مُرُوا

(١) سورة النور، الآية: ٥٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

صُبْيَانَكُم بالصّلاة إذا بلغُوا سبعاً، واضْرِبُوهُمْ عليها إذا بلغُوا عَشْراً»[١] وذلك بطريق التّأديب والتّهذيب لا بطريق العقوبة لأنّها تستدعي الجناية، وفعل الصّبي لا يُوصف بكونه جناية بخلاف المجنون والصّبيّ الذي لا يعقل لأنّهما ليسَا من أهل العقوبة ولا من أهل التّأديب»[٢].

وعلى هذا فلا عقوبةَ للطفل ما دام دون السّنّ العاشرة، وإنّما يخوّف بالعقوبة في سنّ التّمييز.

رؤية الأطفال للسّوط والخوف منه:

كثير من الأطفال يردعُهُمْ رؤيةُ السّوط وأداةُ العُقوبة، فبمجرّد إظهارها لهم يُسارعون إلى التصحيح، وهذا منهجٌ تربويّ سليم. فقد روى البخاري في الأدب عن ابن عباس رضي الله عنهما «أنّ النّبيّ ﷺ أمر بتعليق السّوط في البيت»[٣]. وروى عبد الرّزاق والطبراني عن ابن عباس مرفوعاً «**علِّقُوا السّوطَ حيثُ يرَاهُ أهلُ البيتِ، فإنّه أدَبٌ لهُمْ**»[٤].

وروى ابن عمر مرفوعاً «علِّقُوا السّوطَ حيث يَراهُ أهلُ البيت»[٥].

فلا بدّ من وجود السّوط أو العصا في البيت ليخاف الطّفل من أن يتعمّد الخطأ والمعاندة.

ابتداء الضّرب سنّ العاشرة:

ودليله من الحديث الذي رواه أبو داود بإسناد حسن «**مُرُوا أولادَكُم بالصّلاة وهم أبناءُ سَبْعٍ، واضْرِبُوهُمْ عليها وهم أبناءُ عَشْرٍ**» فإنّ ابتداء الضّرب يكون في سنّ

(١) صحيح الجامع الصغير برقم ٥٨٦٨.
(٢) بدائع الصنائع، ج٧/ ٦٣.
(٣) الأدب المفرد ٢/ ٦٥٦.
(٤) صحيح الجامع رقم ٤٠٢٢.
(٥) أخرجه الضياء، صحيح الجامع رقم ٤٠٢١.

العاشرة. فإنّ النّبيّ ﷺ لم يأذن بضرب الطّفل على التّقصير به قبل سنّ العاشرة، فمن الأَوْلَى في باقي الأمور الحياتية والسُّلُوكيّة والتّربوية التي لا تساوي مكانة الصّلاة أهمية ومنزلة عند الله تعالى!؟.

لا ضرب مع الغضب:

أوصى النّبيّ ﷺ المسلم بعدم الغضب والابتعاد عنه ما أمكن إلى ذلك سبيلاً، وذلك عندما سأله رجل أوصني فقال: «لا تَغْضَبْ»! وأعادها عليه ثلاثً، لتأكيد ضرورة ترك الغضب. وإنّ علامة الغضب بذاءة اللّسان في السّبّ والشّتم وتقبيح الطّفل، وهذا لا يليق في تربيته التّربية الحسنة!.

ارفع يَدَكَ عن الضّربِ إذا ذكرَ الطّفلُ اسمَ الله تبارك وتعالى:

وأنتَ تضربُ طفلَكَ وتُؤدّبه، وهو يتألمُ، فإذا استجارَ بالله تعالى فعليكَ أن تقفْ عن الضّربِ، وترفع يدكَ عنه، فإنّ هذا الطّفل وصلَ إلى القناعة بخطئه والرّجوع عنه، وفوق ذلك لجأ إلى الاحتماء بالله ﷻ، ومراعاةُ احتمائه بالله ﷻ لها آثارٌ طيبة ومباركة في نفسه!.

البحث الثالث:

قاعدة إثابة الطّفل ومعاقبته

إنّ إثابة المحسن على إحسانه، وعقاب المسيء على إساءته مبدأٌ إسلامي لقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾(١)، ولقوله جلّ وعلا: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾(٢).

الثواب وأنواعه:

ينبغي حينَ نغرسُ العادات الطّيّبة أنْ نحاول مكافأة الطّفل على إحسانه القيام

(١) سورة الرحمٰن، الآية: ٦٠. (٢) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

بالعمل بما يبعث في نفسه جانباً من الارتياح الوجداني.

وقد قدّر السّلف أهمية ترغيب الأبناء وثوابهم في حسن استجابتهم: روى النضر بن الحارث قال: سمعتُ إبراهيم بن أدهم يقول: قال لي أبي: يا بني اطلبِ الحديثَ، فكلما سمعتَ حديثاً وحفظتَه فلكَ درهمٌ! فطلبتُ الحديث على هذا.

والثّواب قد يكون مادّياً ملموساً كإعطاء الطّفل لعبةً، أو حلوى أو نقوداً، أو... وقد يكون معنوياً يُفْرِحُ نَفْسَهُ، كالمدح والابتسام والاعتزاز بالطّفل على عمله الطيّب أمام النّاس.

لكن لا يفوت المربّي أن عدم الغلو في المدح أدبٌ إسلامي، وهو توجيهٌ تربوي يلتزمه المربّي أيضاً، فلا يكثر من عبارات الاستحسان لئلا تفقد قيمتها، ويدخل الغرور إلى نفس الطّفل.

كما أنّه لا يجعل الثّواب المادي هو الأساس، ممّا له من أثر سيّىء على نفسيّة الطّفل مستقبلاً، وإنّما يُوازن بين الثّواب المادي والثّواب المعنوي.

العقاب وأنواعه:

التّربية لا تعني الضّرب والشّدّة والتّحقير، كما يظن الكثيرون، وإنّما مساعدة النّاشيء للوصول إلى أقصى كمال ممكن. ثم إنّ ديننا رفع التّكليف عن الصّغار، ووجّه إلى العقاب كوسيلة مساعدة للمربّي ليُعالج حالة من النفوس لا يصلحها إلّا الضّرب!. وذلك بعد سنّ التمييز كما يبدو من حديث الرّسول ﷺ: «**مُرُوا أولادَكم بالصّلاةِ وهم أبناءُ سبعِ سنين واضْرِبُوهُمْ عليها وهم أبناء عشر**»[1].

ونستفيدُ من الحديث أن الضّرب للطفل لأجل تعويده الصّلاة لا يصح قبل العاشرة، والتّأديب هنا يحسن أن يكون بغير الضّرب. ومن توجيه النّبوة الكريم أيضاً، أن يشعر الأطفال بهيبة الأسرة وإمكانية عقاب المخطىء.

---

(١) الحديث صحيح، ينظر صحيح الجامع الصغير ٥٠٨، للألباني.

لقد جاء في الحديث الصّحيح: «**علّقُوا السّوط حيثُ يَراهُ أهل البيتِ فإنّه لهم أدبٌ**»[١]، فإنّ رؤية السوط قد تغني عن استعماله، لما فيه من إمكانية استعماله. وأمّا نوعية العقاب فإنّه ليس من الضّروري إحداث الألم فيه.

فالتّوبيخ العادي الخفيف، ولهجة الصّوت القاسية، يُحدثان في الطّفل الحسن التربية الذي قلما يُعاقب نفس التأثير الذي يحدثه العقاب الجسمي الشديد في الطّفل الذي عُوّد عليه، وكلّما ازداد العقاب كلّما قلّ تأثيره على الطّفل، بل إنّه يُؤدّي إلى العصيان وعدم الاستقرار أكثر فأكثر، ولذا ينبغي التّنبّه لهذا.

والعقاب يجب أن يتناسب مع العمر، فليس من العدل عقابه في السنة الأولى وفي السّنة الثانية، فإن تقطيب الوجه يكفي، والطّفل لا يدرك معنى العقاب بعدُ.

وفي السنة الثالثة قد تُؤخذ بعضُ ألعابه لقاء ما أتى به من عمل شاذّ، ولا يصح بحال أن يكون العقاب سخريةً وتشهيراً وتنابذاً بالألقاب قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٢]. أين هذا التّأديب الرّباني ممن ينادون أبناءهم: يا أعور، يا أعرج، فيمتهنون كرامتهم.

ولا يعيرونهم فيجرئونهم على الباطل بندائهم: يا كذّاب، يا لص، يا بهيم. وفي ضرب المربّين للصّبيان: حدّد فقهاؤنا حدوداً لا يجوز للمربّي تجاوزها؛ فيلزمه أن يتّقي في ضربه الوجه والمقاتل، لخبر مسلم أنّه ﷺ قال: «**إذا ضرَبَ أحدُكُم فليَتَّقِ الوَجْهَ**» ولأنّ القصد ردعه لا قتله، ثم كيفية ضربه أن يكون مفرقاً لا مجموعاً في محل واحد.

والمهمّ في كل حال أن يكون هناك ثباتٌ في المبدأ، ومساواةٌ بينَ الأولاد وعدل بينهم، وبُعْدٌ عن الظّلم الذي يُنفّر القلب، إذْ لا تجلب العقوبةُ الظالمةُ إلّا الضّرر.

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٣، ص: ٤٣٢، الألباني.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١١.

والخطأ الذي يحدث للمرة الأولى يحسن أن يُخفّف فيه العقاب، إلّا إذا وجد المربّي أنّ الأصلح الرّدع - لكبر الخطأ - منعاً لمعاودته، فلا مانع من استعمال العقوبة الأشدّ لئلا يستهين بالذّنب، أمّا إذا وقع العقاب للطفل من أحدِ الأبوين فالواجب أن يُوافقه الآخرُ، وإلاّ فلا فائدة من العقاب، مع إشعار الطّفل أن العقاب ليس للتشفّي، وإنّما لمصلحته وإنّ شعور الطّفل بخلاف ذلك قد يُحدث انحرافاً معيناً في نفسه، وهو أن يتعمد إثارة والديه ليستمتع بمنظر هياجهما وثورتهما عليه، وهذا ما يتعمده الولد حين لا يُؤثر العقاب فيه، ويُحس بالانتعاش الداخلي والارتياح، لأنّه وهو الصّغير استطاع أن يُثير أولئك الكبار ويزعجهم!؟ وعندئذٍ تكون الخسارة مزدوجة فلا العقوبة أدّت غرضها في الإصلاح، وزاد في نفس الطّفل انحراف جديدٌ هو تحقيق الذّات عن طريقٍ غير سوي.

وكلمة أخيرة نود أن نُؤكّد عليها: إنّ العقاب يجب أن يتلو الذنب مباشرةً وألّا يكون من الخفة بحيث لا يجدي، أو من الشدة بحيث يشعر بالظلم أو يجرح الكبرياء.

كما واتضح أنّ الأطفال المنبسطين يُضاعفون جهودهم عقب اللّوم، في حين أن المنطوين يضطرب إنتاجهم عقب اللوم. ومطرد التّعلّم يحفزه الثّناء أكثر من النّقد، والمربي بحُسْن حكمته يضع الأمر في نصابه.

والخلاصة: إنّ تربية الطّفل لا يصلح لها إلّا ضبط الأعصاب، مع التّحمّل المستمر لحركات الطّفل وتصرفاته غير المتّزنة، وهذا ما يراه الوالدان من أشق أنواع التّحمّل في شؤون الأسرة، ولكنه من أضرّ الضّرورات لإصلاح تربية الطفل.

البحث الرابع:

مخاطبة الأطفال على قدر عقولهم

عن أنس رضي الله عنه عن الرّسول ﷺ أنّه قال: «**يسّرُوا ولا تُعسّروا وبشّروا ولا تُنفّروا**». ومخاطبة أطفالنا بحدود إمكانياتهم، ومستواهم العقلي، وعدم تكليفهم ما

يغلبهم، هو جانبٌ عملي تطبيقي لحديث الرسول ﷺ. ومبدأُ «**خاطبُوا النّاسَ على قدر عُقولهم**» مِنْ أهمّ المبادىء في التربية الإسلامية ويعد من أحدث المبادىء في التّربية الحديثة. وينبغي أن يكتب هذا الأثر بقلم من النّور على باب كل مدرسةٍ وكل معهدٍ. فلا يخاطب الأطفال بلغة لا يفهمونها ولا يخاطب الكبار بلغة الصغار. وعن علي رضي الله عنه قال: «حدِّثُوا النّاس بما يعرفُون، أتريدون أن يكذّب الله ورسوله»[1]؟!.

بل إن ابن عبد البر دعا المعلّم والمؤدّب إلى التخفيف من شطط الطالب الذي يُبالغ في العمل، وتوجيهه للعمل حسب إمكانياته وبحدود طاقته. قال في كتابه جامع بيان العلم وفضله: إذا سلك الطّالب الذي يُبالغ في التّحصيل فوق ما يقتضيه حاله أو تحمله طاقته، وخاف الشّيخ ضجرَهُ، أوصاه بالرّفق بنفسه، وذكره بقول النّبيّ ﷺ: «**إنّ المنبتَّ لا أرضاً قطعَ ولا ظهراً أبْقَى**» ونحو ذلك ممّا يحمله على الأناة والاقتصاد في الاجتهاد[2]. وتبقى حال الطّفل، ماثلةً أمام المربّي حين تربيته كما تنجلي حال المريض أمام الطّبيب حين معالجته، يراعي حالته، ومقدرته، ومزاجه فيكون أثر التّربية أتمّ وأعظم ثمرة.

البحث الخامس:

تربية الطّفل على المشاركة في تحمّل المسؤولية

إنّ الإسلامَ يغرسُ في نفوس المؤمنين منذ فجر الدّعوة الإحساسَ بمشاعر الأخوّة، وبآلام مجتمعهم.

والإحساس بالمسؤولية تجاه الآخرين لا يتكوّن إلّا نتيجة تحمل المسؤولية فعلاً، أي عن طريق المشاركة مع الآخرين من أفراد الأسرة والمجتمع. أمّا الإنسان

(١) منتخب كنز العمال ٤/ ٦٩.

(٢) جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص: ١٩٩.

اللاهي العابث فلن يُفيد أمته ولا نفسه بشيء ذي قيمة. ومن هنا يرى جميع المربّين أن تنمية الشعور بالمسؤولية لدى الطّفل ينبغي أن يكون الهدف الذي تسعى إليه تربيته وتعليمه فيما تُقدّمه له من توجيهات.

وقد اهتمّ رسول الله ﷺ في بناء شخصية النّاشئين من حوله، وهو أسلوب قرآني حكيم، أشارت إليه آياته وأحاديث الرسول عليه الصّلاة والسّلام.

وممّا يُعين على تحمّل الأطفال المسؤولية احترام شخصياتهم، وإشعارهم بالثّقة في أنفسهم.

روى مسلم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ أُتي بشرابٍ، فشربَ منه وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ، فقال للغلام: «**أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟**» فقال الغلام: «لا والله لا أُوثر بنصيبي منكَ أحداً» وهكذا يعتاد الطّفل الجرأةَ الأدبيةَ، فينشأ بعيداً عن الانهزامية والجُبْن! وفيه قوّةُ رأيٍ وحجّةُ فهمٍ.